سينما

«ما تسمع كان الرّيح»

جماليات سحر وغموضٍ في سيرةً امرأة

قصة الثنائي التونسي إسماعيل ويوسف الشابي تُروى سينمائياً في 9 ليالٍ، بالأسود والأبيض، بحثاً في مسار شابّة تعيش تناقضاً بين ليل ونهار

نديم جرجوره

الاختلاف كبيرٌ بين العنوانين، العربي والإنكليزي. الأول يقول إنّ «ما تسمع كان الرّيح»، بينما الثاني يختزل الشخصية النسائية الأساسية، وسيرتها اليومية بين نهارٍ وليل: «مادوسا السوداء». الأهمّ كامنٌ في ندى (نور حجري): شابّة جميلة، تغرق في صمتٍ يُشبه الخرس (أو ربما الخرس عطبٌ فعليّ فيها، أو أداة حماية)، وتعيش ازدواجية فاقعة، رغم أنّ ظهورها في النهار قليلٌ، من دون إحداثِ فرقٍ كبير، باستثناء تمكّنها من إغواء شبابٍ في سهراتٍ ليلية، واستدراجهم إلى منازلهم، والقضاء عليهم بوحشيةٍ. يتحفّظ المخرجان التونسيان إسماعيل (1981) ويوسف الشابي (1984) عن إبرازها مباشرة، لاهتمامٍ لهما في تعرية روح امرأة وذاتها، وفي تعرية حكاية وشعور أيضاً، باستخدامٍ جمالي باهرٍ للأسود والأبيض (تصوير عماد عيساوي)، بكلّ ما فيهما من سحرٍ وغموضٍ وقسوة وظلالٍ وجحيم، وهذه مسائل تسِم ندى، ورحلتها في خرابِ ذاتٍ وعالم.

قصّة (سيناريو إسماعيل والشابي) تُروى في تسع ليالٍ. تعريفٌ يُكتب في البداية، تمهيداً لرحلةٍ فردية تمزج انهياراً روحياً بعطبٍ نفسي، وخللاً اجتماعياً بتشويق بوليسيّ، من دون اقترابٍ سينمائي كبير من أيّ منها، فالفيلم مزيجٌ من هذا ومن غيره. تعاني ندى تراكمات وتمزّقات، لن يكون ضرورياً أو مهمّاً معرفتها بوضوح. الأسود والأبيض يقولان، منذ الدقائق الأولى، إنّ أجمل الجماليات السينمائية حاضرةٌ في سحر الغموض وقسوة الظلال، وفي براعة ممارسة الجحيمِ طقوسَه في حياةٍ قبل الموت. الغرق التدريجي في لعبة الإغواء والعنف يترافق مع نصٍّ لراويةٍ تختمه في النهاية مع اختفاء ندى. نصّ يسرد حكاية شابٍ يقع في حفرة، من دون أنْ يُدرك سبب وقوعه فيها، ولا كيفية حدوث الفاجعة. لكنّ الفاجعة تقوده إلى اختبارات ومطبّات، والمرأة في الحكاية تمارس عيشها في انقلاب أقدارٍ وطبائع ومسارات.

كلُّ ليلةٍ ستكون مُفعمةً بتشويقٍ، يزداد قوّة مع طغيان الأسود والأبيض، الذي (الطغيان) يُثير توتراً وارتباكاً يمنحان المُشاهدة متعة الإسراف في مراقبة وتلصّص، وفي بحثٍ عن مخفيّ في حركةٍ أو موقفٍ أو تعبيرٍ أو نبرة. النصّ البصريّ، بجماليات مسارٍ درامي وأداء تمثيلي لنور حجري وريم حيوني (نورة)، وتناغمِ صخبٍ موسيقيّ بسلاسة موسيقى أخرى (عمر علولو)، مع صمتٍ مطبق أحياناً، وثوانٍ عدّة تفيض بالأسود الكلّي على الشاشة بين لحظة وأخرى، وبين لقطة وأخرى، وبين انفعال وآخر (توليف إسماعيل)؛ هذا كلّه جزءٌ من عالمٍ متكامل يتداعى في سيرة ندى، ويكشفُ جمالَ سينما تتفنّن في ابتكار صُورٍ، تشي بمتانة سردٍ واشتغالاتٍ.

نور حجري: «مادوسا السوداء» في أجمل أداء (فيتّوريو تزونينو تشيلوتّو/ Getty)

أسطورة يونانية تتمثّل بشابّة تونسية تصنع تهلكة صادمة

ما يُعتَبر «قصّة»، تُروى في تسع ليالٍ، لن يكون قصّةً تقليدية عن عذاب امرأة بين ليلٍ ونهارٍ، ومع رجال وعيش. تتوارى القصّة في أفعالٍ وعلاقات، وصمت ندى (إنْ يكن خرساً أو رغبةً في مزيد من عزلة وحماية وتحصينٍ لذاتٍ وروح تتألّمان كفايةً) يروي فصولاً منها، كذاك الصمت الذي يحلّ قاسياً على لقطاتٍ، أو ككلامٍ قليل يُقال أحياناً لرجالٍ، بعضهم مسكونٌ بانهيار وفراغ، وبعضهمٌ معطوبٌ بوحدة وانكسار. ما يقوله هؤلاء مجرّد كلامٍ، يحتمل تعابير تعكس ما فيهم من حالاتٍ وأحاسيس. ذهاب بعضهم إلى أقصى الاختبار مع شابّةٍ، غريبةٍ عنهم، غير متوقّع، لكنّ اللحظة تفرض حالةً، والنتيجة عنفٌ مفاجئ وصادم.

الإيحاء بكيفية ارتكاب الجُرم الأول أقسى وأكثر إيلاماً من مُشاهدته مباشرة. الإشارات الجنسية أساسية، وإنْ تتجرّد من وضوحٍ يقضي عليها إذا أُريد له البروز، وهذا غير حاصل. العلاقة بينها وبين نورة مليئة بتناقضات ورفض، قبل انكسار حاجز المسافة، في مقابل إشارات جنسية بينهما، غير مُكتملة وغير مفضوحة وغير ملموسة وغير مؤكّدة. ارتباط الجنس بالعنف معروف، في السينما والحياة والنفس البشرية. كلُّ إيحاء به في أكثر من لقطة، في «ما تسمع كان الرّيح» (يعرض على منصّة «أفلامنا» . aflamuna.online، لغاية 28 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021)، يحافظ على جمالية بوحٍ غير مُعلَن، يُعبَّر عنه بتصوير داكن، وصوتٍ (تصميم أمل عطيّة) يتغلغل في مسام روح وجسد وقلب، كمن يفتّش عن خلاصٍ من ضغط وحصار وبطش ذاكرة، تأتي من ماضٍ حادّ ومؤلم، رغم أنّ هذا الماضي غير حاضرٍ، باستثناء مرة واحدة. أو لعلّ تلك المرة الواحدة إيهامٌ بماضٍ، حادّ ومؤلم، يتسرّب إلى راهنٍ، تختلطُ فيه حالات وأوجاعٍ وتفاصيلٍ، كاختلاط أنواعٍ سينمائية، تُلغي كلّ حدّ بينها لصُنع فيلمٍ موصوفٍ بكونه «فيلم نوار (Film Noir)»، في حين أنّ «مادوسا السوداء»، التي يُظنّ أنّها خلاصة أسطورة يونانية بحكاية أرملة سوداء، تعكس جماليات عنفٍ وقسوة في شكل امرأة شابّة، تملك في عينيها أقوى إغراء يؤدّي بالمغويّ إلى تهلكةٍ غير مُنتظَرة.

اتّهام بالسرقة وترشيحٌ للـ«أوسكار»

عاصفةٌ إيرانية حول «بطل» أصغر فرهادي

أصغر فرهادي: سارقٌ أم مُلهم؟ (ماتّ كارّ/ Getty)

باريس ـ **ندى الأزهري**

في 22 أكتوبر/تشرين الأول 2021، اختارت لجنة إيرانية فيلم «بطل» («قهرمان»، العنوان الفارسي) للإيراني أصغر فرهادي، لتمثيل السينما الإيرانية في التصفيات الأولى لجائزة «أوسكار» أفضل فيلم دولي، في النسخة الـ94 (27 مارس/آذار 2022). تضمّ اللجنة فنانين مُقترحين من «دار السينما» (شبيهةٌ بنقابة السينمائيين)، بينهم محمد مهدي عسكربور، المخرج ومدير «مهرجان فجر السينمائي الدولي»، والمخرجين رسول صدر عاملي وفريدون جيروني.

منذ الصيف الماضي، بعد فوز «بطل» بالجائزة الكبرى (مناصفة مع «المقصورة رقم 6» للفنلندي يوهو كوسمانِن) للدورة الـ74 (6 . 17 يوليو/تموز 2021) لمهرجان «كانّ» السينمائي، يتعرّض أصغر فرهادي لحملة ضدّه، بدأت في وسائل التواصل الاجتماعي، وازدادت صخباً، يوماً بعد يوم. أساس الحملة اتّهام مخرجة شابّة لفرهادي بـ«سرقة» موضوع «بطل» من مشروع فيلمٍ وثائقي لها. الهمس وصل إلى أحد مدراءٍ المهرجانات الأوروبية، الصيف الماضي، ومعه شريط فيلم المخرجة آزاده مسيح زاده، فتمّت المقارنة بين الفيلمين، وكانت صدمة ودهشة، وطُرحت تساؤلات مشروعة عن التشابه بينهما، كما صرّح البعض لـ«العربي الجديد»، التي قالت المخرجة لها إنّها كانت طالبة لدى فرهادي منذ سنوات، في ورشة عمل، وإنّه استخدم فيلمها ليؤسّس عليه فيلمه، من دون أنْ يسألها. كما أنّه لم يشكرها ولم يدفع لها حقوقاً، ولم يضع اسمها في «شارة الفيلم». تحاول مسيح زاده إسماع صوتها، لكنّ صوتها لا يصل إلاّ إلى عدد محدود، فالكفّة لصالح الأشهر والأقوى في عالم لا اسم لها فيه، ولا مؤيّد.

تساؤلات عن مدى التشابه وحملات قاسية وترشيح لأوسكار

في البداية، لم تتمّ الإشارة إلى القضية في الصحافة الإيرانية، بل فقط في وسائل التواصل الاجتماعي. لاحقاً، تغيّر الحال، إذْ أعلنت نكار اسكندرفر، مديرة «معهد الثقافة والفن (كارنامه)»، لموقع «هنر أو لاين» (وكالة الفنون الإيرانية للأنباء)، أنّ هناك مطالبات للإدلاء بتصريح عما يجري (1 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021). فالمعهد، الذي نظّم سابقاً ورشة عمل مع المخرج الإيراني، اختار الصمت منذ البداية، «تجنّباً لردود فعل متعجّلة»، لكنّه يجد أنّ عليه اليوم «مسؤولية أخلاقية واجتماعية، لإعطاء الوثائق والملفات حول القضية»، لمن يطلبها من قضاء أو نقابة. أضافت اسكندرفر أنّ «فيلم امروز» (مجلة سينمائية مشهورة في إيران) حاورتها لتروي ما تعرفه من تفاصيل الخلاف، لكنّ المجلة أوقفت النشر بناءً على نصيحة المحامي. مع هذا، سيُنشر الحوار في «إعلام حر ومستقل» لاحقاً، كما صرّحت المديرة، لرفع الغموض عن القضية، وتهدئة الأجواء. كما أوضحت أنّ حقوق ملكية أيّ عمل ينتجه طالب في الورشات «تكون له لا للمعهد أو الأستاذ».

مصدر إيراني من الوسط السينمائي، طلب عدم الكشف عن اسمه، قال لـ«العربي الجديد» إنّ محامي فرهادي صرّح لمقرّبين بأنّ مبلغاً من المال دُفع للمخرجة، لشراء الحقوق. لكنّ فرهادي ينكر تماماً «استيحاء» الفكرة من الطالبة، «في تناقضٍ واضح»، كما قال المصدر الإيراني، الذي أضافَ أنّ اسمها، في أي حال، ليس على شارة الفيلم.

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

وثائقيان لمشهراوي: بساطةُ التقاط نبض الحياة

بيروت ـ **العربي الجديد**

فيلمان وثائقيان جديدان (2021) للفلسطيني رشيد مشهراوي (1962): «يوميات شارع جبريئيل»، الذي يُشارك في مسابقة «آفاق السينما العربية»، في الدورة الـ43 (26 نوفمبر/ تشرين الثاني . 6 ديسمبر/ كانون الأول 2021) لـ«مهرجان القاهرة السينمائي الدولي»؛ و«استعادة»، الذي يُعرض في برنامج «روائع عربية»، في الدورة الأولى (7 . 15 ديسمبر/ كانون الأول 2021) لـ«مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي». في الأول، يتجوّل مشهراوي . حاملاً كاميرا صغيرة . في أزقة ومنازل ومحلّات قليلة في شارع باريسي، يُقيم فيه منذ سنوات، ملتقطاً أحوال أناس وبيئة وجغرافيا، في فترة العزلة المنزليةً ومنع التجوّل (باستثناء حالات معينة)، بسبب تفشّي وباء كورونا. وفي الثاني، يحصل على تسجيل (شريط فيديو «في أتش أس») مع طاهر القليوبي، يروي فيه حكايته الشخصية مع يافا، ومع فلسطين وسيرتها في التاريخ والأرض والذاكرة والناس والاحتلال، مدعِّماً هذا كلّه بصُور فوتوغرافية تنبض بحياة آلاف اليافاويين في فترات تاريخية تنتهي مع بدايات الاحتلال الإسرائيلي. الأول حميمٌ للغاية، فمحوره الأساسي كامنٌ في ذات مشهراوي وشخصه وعلاقاته، مع انفتاح على تاريخ له وذاكرة، وعلى بعض أفلامه، وعلى معنى حظر التجول بين باريس وفلسطين، والتشابه بين التصاريح التي يجب الحصول عليها للسماح بتجوّل في الشوارع الباريسية، وتلك الممنوحة من الإسرائيليين، وكيف أنّ التصاريح والتفتيش جزءٌ من يوميات الفلسطينيين في بلدهم المحتلّ. في الثاني، شيءٌ من الحميميّة أيضاً، فحي المنشية في يافا شاهدٌ على ولادة والد رشيد، وحياة أهله هناك. كأنّ مشهراوي، بلقائه غير المتوقّع وغير المباشر مع القليوبي، ومع تلك الصُور الرائعة، يذهب إلى حيّه الذي لم يعرفه أبداً.

فيلما رشيد مشهراوي (الأول 62 دقيقة، والثاني 60 دقيقة) اختبار جديد، يميل إلى البساطة في سرد حكايات وتصوير مشاعر والتقاط نبض مدينة وأناس وذكريات، مانحاً للمواد كلّها حيّزاً كبيراً للقول والسرد والبوح. الأرشيف الحاصل عليه في «استعادة» مهمّ للغاية، واللقطات المُصوّرة بهدوء وبساطة وسلاسة في «يوميات شارع جبريئيل» تعكس شيئاً من صداقة وتأمّلات وحبٍّ.

أفلام جديدة

■ Reminiscence لليزا جوي (الصورة): في مستقبل قريب، تغرق ميامي بفيضانات، بسبب الاحتباس الحراري. يتولّى نِكْ بانّيستر التحقيق في ذكريات الناس، عارضاً عليهم الغوص فيها مجدّداً. عندما يلتقي ماي، تنقلب حياته، إذْ تحول علاقته بها دون إكمال وظيفته، وتُغلق عليه في دائرة زمنية ضيّقة، فيجد نفسه أمام ذاته، مكتشفاً ذكرياتٍ عدّة له، لم يكن يعرفها قبلاً.

■ Tick، Tick…Boom! للين . مانويل ميرندا، تمثيل أندرو غارفِلد وفانيسا هادجنس (الصورة): عشية بلوغه 30 عاماً، يعيش مؤلّف موسيقي شاب وواعد حياة مليئة بالحب والصداقة والرغبة في تحقيق شيءٍ مُثير للدهشة والإعجاب، قبل أنْ يتأخّر الوقت عليه. سيرة حياتية مستوحاة من كوميديا موسيقية بالعنوان نفسه (2001) لجوناثان لارسن.

■ Malignant لجيمس وان، تمثيل أنابِل والّيس (الصورة): تتعطّل حياة مادِيسن ميتشل كلّياً، منذ أنْ بدأت تقضّ مضجعها رؤى رهيبة، من دون أنْ تعرف من هو ذاك المخلوق الشرير والعنيف الذي يُلاحقها، ويرتكب جرائم قتل بشعة. جيمس وان في أحد أفلامه التي يبرع في صُنع الرعب فيها.